« التغلب على الأسى الناتج عن وفاة ابن »

د. عبد المنعم شحاتة محمود
كلية الاداب ـــ جامعة المنوفية

د. طريف شوقى فرج
كلية الآداب ببنى سويف ـــ جامعة القاهرة

مقدمة :ـــ

تعد الفجيعة bereavement (وفاة من نحب) أكثر مآسى الحياة وأشقها على النفس ، لأنها تؤدى إلى مخاطر كثيرة ، كإصابة الشخص المكروب بأعراض مرضية (بدنية ونفسية) مختلفة ، وقد يصل الأمر إلى وفاته أو محاولته الانتحار ، وبسبب هذه المخاطر ، كان من الضرورة القصوى دراسة ما تحدثه الفجيعة من أسى greif وفهم المشقة stress وآثارها على التوافق النفسى الاجتماعى ـــ إلا ان الباحثين لم يعروها الانتباه الكافى ، إذ :ـــ

١ ـــ يؤكد د/ إمام أن دراسة الموت فى الفكر الفلسفى عموما دراسة نادرة ، وينقل عن « روبرت أولسون » Olson قوله : إن الموت من الموضوعات المتكررة عند الشعراء والأدباء والفنانين بصفة عامة ، وإن كان قلة من الفلاسفة قد درسوه ، إلا أن المعاصرين منهم قد استبعدوه من حظيرة الفلسفة ، باعتبار أن علماء النفس والاجتماع يمكن أن يدرسوه بعناية أكثر ، وإن كان هؤلاء لم يظهروا ميلاً لدراسته إلا حديثا جداً (٥ : ٧ ـ ٩) .

٢ ـــ واستجاب علماء الاجتماع لرأى هؤلاء الفلاسفة ، معتبرين الموت ظاهرة اجتماعية أكثر منه حقيقة بيولوجية ، فموت أحد الافراد يؤثر فى البناء الاجتماعى لجماعته ، كما أن لكل منها طرقها الخاصة فى التعامل مع الموت ، وهكذا تتعدد الاستجابات المرتبطة به وتتباين من جماعة لأخرى ، فلكل جماعة اطارها الاجتماعى المرجعى المكون من قيم ومعايير تحدد طقوس الحداد ومدته وعاداته* والأدوار المتمايزة لأعضاء الجماعة التى توفى فرد منها (٢١ : ٧ ـ ٨) .

---

* إذ تختلف مظاهر الحداد من مجتمع لآخر ، بل من عصر لآخر ، ومن ثقافة فرعية لأخرى فى المجتمع الواحد ، فالملابس زرقاء اللون إشارة المصريين القدماء لكونهم فى حالة حداد ، والتى تستمر لأكثر من ٧٠ يوما ، فطقوس الدفن لديهم ـــ بسبب التحنيط ـــ تستغرق ٧٢ يوما (٦ : ١٥١) ، والملابس سوداء اللون هى إشارة المصريين الآن لتلك الحالة ، فالحضريون منهم يرتدين رابطة عنق سوداء أو يطلقون لحاهم ، بينما لا يظهر الريفيون إشارة تدل على كونهم فى حالة حداد ، والحضريات يرتدون نظارة سوداء مع ملابس سوداء اللون بينما ..

ومع هذا الإدراك للأبعاد الاجتماعية للموت ، إلا أن علماء الاجتماع لم يهتموا بدراسته الاهتمام الكافى ، والقلة منهم الذين درسوه ، ركزوا دراساتهم على معرفة تطور السلوك المرتبط بالموت واختلافه من جماعة لأخرى ورصد هذا الاختلاف (١٩) . مع بذل جهد محدود فى تفسير هذا الاختلاف ، أضف إلى ذلك أوجه قصور منهجية شابت هذه الدراسات القليلة (٢١ : ١٣ ، ١٨) .

٣ — إن البحوث تشير إلى أن أعراض الاكتئاب تشيع بعد وفاة الزوج (أو الزوجة) وتستمر معاناة الأرامل منهم لمدة تزيد على سنة بعد الوفاة ، وأن حدة هذه الأعراض تزيد إذا كان الأرمل أصغر سنا أو سبق له الشكوى من الاكتئاب (٢٢) كما أن وفاة ابن تؤدى إلى معاناة الآباء من درجة اكتئاب أعلى مما يعانى الأرامل (١٧) ومع ذلك ، فإن الطب النفسى المعاصر — بمنحاه البيولوجى وتوجهه التحليلى الوصفى — لم يهتم كثيرا بالاكتئاب الناتج عن الفجيعة ، وبمدى تأثيره على الاضطرابات السيكاترية اللاحقة (١٠) .

٤ — أهمل علماء النفس الاجتماعيون دراسة الأسى ، مع أنه عملية اجتماعية بالدرجة الأولى ، إذ تحدد مظاهره وأعراضه المعايير الاجتماعية والإطار الثقافى للمجتمع ، فإشارات الأسى ودلالتها تختلف من مجتمع لآخر لاختلاف هذا الاطار وتلك المعايير ، كما أن التغلب على الأسى مرهون بمدى مؤازرة support الآخرين وعونهم ، أى يتوقفان على السياق الاجتماعى أيضا ، والعناية بالمكروب مسئولية اجتماعية ، تقع على عاتق المحيطين به من أهل وجيران وأصدقاء ، ومع كل هذا تجاهل علماء النفس الاجتماعيون الأسى (٨) .

٥ — ومع تزايد الاهتمام فى الأعوام الأخيرة ، من قبل علماء النفس ، بالأسى الناتج عن وفاة حميم ، إلا أنه تركز أكثر على آثاره (١١) والمتغيرات التى تزيد من خطورتها (١٥) وقليلاً ما تركز الاهتمام على كيفية التغلب عليه ، وحتى هذا الاهتمام الضئيل بأساليب التغلب على الأسى ، لم يتجاوز نقطتين فقط : أما رصد الأثر الناتج عن مؤازرة الآخرين (٢٠) أو وضع برنامج يمكن المختصين فى الإرشاد النفسى من مساعدة قاصديهم من المكروبين (١٥) وفى كلتا الحالتين هناك صعوبات منهجية أهمها : افتقاد أدوات جمع البيانات وتقديرات ثبات وصدق يعتد بها ، والافتقار إلى إجراءات الضبط الذى يسمح بمقارنات يعتمد عليها ، وغياب البحوث التقويمية .

٦ — وفى الوقت الذى تزايد فيه اهتمام علماء النفس الغربيين بدراسة الأسى ، لم يلتفت — فى حدود المعلومات المتاحة لنا — علماء النفس المصريون والعرب إلى هذا الموضوع ، على الرغم من تناول الفلاسفة المسلمين المتميز له ، والذى لم يقتصر على مظاهره وأسبابه . كما فعل ابن سينا (ت : ٤٢٨ هـ)* ، أو آثاره كحصر أبى الفرج الجوزى (ت : ٥٩٧ هـ) للآثار الانفعالية المترتبة على موت محبوب (٢ : الفصل السادس) ، وإنما اهتموا بكيفية التغلب عليه ، حيث وضع أبو اسحاق الكندى (ت : ٢٥٦ هـ) طرق** التغلب على الحزن الناتج عن فقد محبوب وفوت مطلوب (١) ، وأشار أبو زيد البلخى [ت ٣٢٢ هـ) إلى أن تسكين الجزع — فرط الحزن وشدته — يكون بحيلتين : خارجية كوعظ الواعظين ، وداخلية تتمثل فى ترويض النفس على تقبل الأمر (٣ : ٣١٤ — ٣٢٣) ، كما وضع ابن ناصر الدين الدمشقى (ت : ٧٧٧ هـ) كتابا لهذا الغرض ، ضمنه مجموعة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأخبار الصحابة والتابعين والإرشادات التى تعين

... = تكتفى الريفيات بغطاء رأس (ايشارب) أسود حيث الجلباب الأسود هو زيهن المعتاد . كما تتفاوت مدة الحداد من جماعة لأخرى ، فلدى البعض ثلاثة أيام ، ولدى آخرين أربعون يوما ، ولدى فريق ثالث عام بعد الوفاة ، ولدى فريق رابع أكثر من ذلك ، خلال هذه الفترة هناك التزامات معينة للذين هم فى حالة حداد (لمعرفة هذه الفروق بين مجتمعين مسلمين كمثال فى مظاهر الحداد ومدته ، انظر : ١٩) .

* يذكر ابن أبى أصيبعة (ت : ٦٦٨ هـ) — فى كتابة « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » بيروت دار مكتبة الحياة (د.ت) — أن لابن سيناء رسالة عنوانها « ما الحزن وما أسبابه » .

** تتفق بعض هذه الطرق — التى وضعها الكندى — مع مبادىء العلاج العقلانى rational ويتفق بعضها الآخر مع أسلوب « التسكين المنظم » « Systematic desensitization » والقارىء لها يلاحظ أن الكندى كمعالج نفس قد تفوق على المعالجين المعاصرين فى نواحٍ عدة .

على تحمل الحزن على وفاة من نحب (٤) ، ومع ذلك لم يتناول المحدثون من علماء النفس العرب هذا الموضوع .

لكل ما سبق ، يهدف البحث الحالى إلى التعرف على مظاهر أسى الأمهات الناتج عن فقد أحد أبنائهن ، والتعرف أيضا على أساليب تغلبهن عليه .

وقد اختير هذا الهدف فى ضوء الاعتبارات التالية : —

(أ) أن المقارنة بين خبرات الفقد Lossing العائلى (وفاة ابن — أب — زوج) تشير إلى أن وفاة ابن تحدث أسى أكثر شدة ، إذ يترتب عليه مدى أوسع من ردود الفعل التى يصعب التغلب عليها ، وذلك بالمقارنة بالمتوفين الآخرين (١٧) ، بل إن وفاة ابن أو حتى توقعها تؤثر بقوة فى إحساس الآباء — الأمهات — بالواقع ، وتزيد من احتمال إصابتهم بالخداع الحسى illusion (١٣) ، ومع ذلك ، لم يحظ أسى الوالدين باهتمام الباحثين مثلما حظى الأسى الناتج عن فقد زوج مثلاً (١٤) .

(ب) وتؤكد البحوث أن الأمهات أكثر معاناة بالمقارنه بالآباء ، فهن أكثر حزنا ، واكتئابا وشعورا بالذنب وتأثرا بالفقد ، وأقل قدرة على تحمله ، ويظهرن درجة أقل من الرضا الزواجى بعد وفاة ابن بالمقارنة بالآباء (٩ — ١٢) بل إن فقد الأم لأبنها بعد ولادته مباشرة ، أو حتى فى أخر أيام الحمل ، يؤثر سلبا على استقرارها الانفعالى ، وربما على علاقتها بالطفل التالى إذا أنجبت ، وقد يكون مرجع ذلك إلى كون العلاقة بين الأم والإبن تبدأ مبكرا جدا وذات طابع فريد ، حتى إنها بفقده تشعر وكأنها فقدت جزءا من نفسها (١٣) .

لذا يسعى البحث الحالى إلى معرفة مظاهر أسى الأمهات الثكالى وكيفية تغلبهن عليه .

الإجراءات : —

١ — العينة (١٠٠) من الأمهات اللائى توفى احد أبنائهن ، ومضى أكثر من عام على هذه الوفاة ، نصفهن يقمن فى القاهرة ، والنصف الآخر فى المنوفية ، متوسط أعمارهن (٤٤,١) سنة ، بانحراف معيارى (١٠,٨٥) سنة ، (٧٠ ٪) منهن أميات والباقيات من مستويات تعليمية مختلفة ، (٦٢ ٪) منهن لا يعملن ، والباقيات يعملن فى مهن مختلفة .

٢ — الأداة : —

أداة البحث عبارة عن استبار interview مقنن مكون من (٦٦) سؤالاً (بعضها مركب ، أى يتكون من عدة أسئلة فرعية) موزعة على الفئات التالية : —

بيانات أولية عن الأم — بيانات أولية عن الإبن المتوفى — ظروف الوفاة — علاقة الأم بالإبن قبل وفاته — مظاهر أسى الأم خلال الشهر الأول بعد الوفاة ، وخلال وقت جمع البيانات — مدى مؤازرة الآخرين (زوج ، أهل ، أصدقاء ، جيران) وكيفيتها — مظاهر التغلب على الأسى وتوقيتها . وقد اختيرت هذه الفئات ، وكذلك البنود المتضمنة فيها ، فى ضوء ما يلى : —

(أ) الاطلاع على الدراسات التى سبق إجراؤها فى نفس المجال ، وحصر المتغيرات التى كشفت هذه الدراسات عن ارتباطها إما بزيادة خطورة الأسى ، أو بتيسير التغلب عليه .

(ب) بناء على ما سبق ، وضعت (٧) أسئلة مفتوحة عن مظاهر الحزن ومدته والممارسات التى ساعدت على تخفيفه ، وتوجيهها إلى (٣٠) من أمهات ثكالى من مستويات تعليمية ومهنية مختلفة .

(جـ) وفى ضوء تحليل مضمون إجاباتهن ، تم إعداد صورة مبدئية للأداة ، وجهت إلى (٥) أمهات ثكالى أميات ، للتحقق من ملاءمة الصياغة ، حيث يتم توجيه السؤال إلى المبحوثة ويطلب منها إعادته وفقا لما فهمته وبمفرداتها هى .

(د) بناء على هذه الخطوة ، عدلت صياغة البنود ، وحذف سؤالان ، وتم الاستقرار على أداة* للاستبار ، وجهت إلى (٢٠) من أمهات ثكالى — من مستويات تعليمية ومهنية مختلفة بمدينتى القاهرة وشبين الكوم — مرتين ، يفصل بينهما أسبوعان تقريبا ، بهدف التحقق من ثبات الأداة ، حيث حسبت النسب المئوية لاتفاق إجابتى السيدات على كل سؤال ، فتراوحت نسب الاتفاق بين (٦٥ ٪) و (١٠٠ ٪) . أما عن صدق الأداة ، فقد اعتمد على الاتفاق مع توقع معقول** ، كمؤشر لصدق الأداة ، فقد توقعنا ،

* يمكن تقديمها لمن يطلبها من أحد الباحثين .

** استند إليه د/ سويف فى بحوثه عن مدى انتشار المخدرات بين الطلاب ، ومنها : — سويف وآخرون (١٩٨٧) المخدرات والشباب فى مصر . المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . ص ١٧ .

استنادا إلى البحوث السابقة بأن الوفاة المفاجئة تحدث درجة أكبر من الأسى بالمقارنة بالوفاة المتوقعة ، وأيدت النتائج ذلك ، كما توقعنا ، فى ضوء استقراء الواقع المصرى ، أن درجة الأسى الناتج عن وفاة ابن تتوقف على علاقة الام بالأب ، فإذا كانت العلاقة قوية وحسنة أحدثت وفاة الإبن حزنا شديداً ، وتقل شدة هذا الحزن إذا كانت العلاقة بين الوالدين سلبية ، جاءت النتائج متفقةمع هذا التوقع ، كما توقعنا — أيضا — أن تتفاوت درجة الأسى تبعا لنوع الإبن المتوفى ؛ إذ يترتب على وفاة ابن درجة أعلى من الأسى بالمقارنة بوفاة ابنة ، وأيدت نتائج البحث ذلك ، مع إضافة دور معدل لمستوى تعليم الام ، ففيما بين الأميات ، تبين أن وفاة ابن ذكر أكثر إحداثا للأسى بالمقارنة بوفاة ابنة ، إلا أن هذا الفرق تلاشى إذا نالت الام قسطا من التعليم ، أى أن لمستوى التعليم دوره المعدل لعلاقة الأسى بنوع الابن المتوفى ، توقع أخر تمثل فى اعتقادنا أن قراءة القرآن الكريم ستكون وسيلة غالبية الأمهات لتخفيف حزنهن ، وكشفت النتائج عن ذلك . وهكذا .. توجد أمثلة كثيرة — كدور مؤازرة الزوج وتعدد الفقد — التوقعات بَدَأنَا بِهَا وايدتها نتائج البحث ، وكلها تشير إلى تمتع الأداة بقدر مقبول من الصدق .

٣ — باحثو الميدان : —

قام بجمع البيانات ثلاث من الباحثـات المؤهلات فى العلوم الاجتماعية والنفسية ، ولديهن خبرة سابقة فى المجال ، بالإضافة إلى جلستين مع الباحثين للمناقشة التفصيلية لبنود الاستبار وخطواته ، لتوضيح بعض النقاط المتعلقة بموضوع البحث وترتيب الأسئلة وطرق التهدئه إذا انخرطت الأم فى البكاء أثناء جمع البيانات .

٤ — النتائج : —

اعتمدنا على المؤشرات التالية لأسى الأمهات الثكالى : —

(أ) شدة الأسى ، وتشير إلى المظاهر المختلفة لحزن الأمهات ، مثل : الامتناع عن كل من تناول الطعام ومقابلة الآخرين — الشكوى من أعراض بدنية ونفسية — مدى القيام بالمسئوليات الأسرية — المشاعر التى يثيرها تذكر المتوفى أو رؤية إحدى متعلقاته (صورته — أصحابه ..) فى الواقع أو فى الحلم . حيث كانت المبحوثة تحدد مدى تكرار كل مظهر منها مرتين ، الأولى خلال الشهر الأول بعد الوفاة ، والثانية وقت جمع البيانات .

(ب) مدة الحداد ، وتشير إلى متوسط مدة كل من : إرتداء ملابس الحداد — غلق جهاز التليفزيون — تقدير الأم نفسها للفترة التى شعرت فيها بأن حزنها بدأ فى الإنخفاض .

(جـ) الإتجاه نحو الموت : ٧ عبارات تشير إلى تقبل الأم — وقت جمع البيانات — الموت ورفض الحداد .

(د) ما أحدثته الوفاة من تغييرات فى سلوك الأم اليومى (الروتينى) مثل مظاهر التقرب إلى الله والمشاركة فى طقوس العزاء للآخرين والعناية بالأبناء .

وبناء على البيانات المستمدة من الاستبار ، سوف يتم رصد الفروق فى المؤشرات السابقة والتى تعزى إلى : —

١ — الفروق الحضارية (حضر « قاهرة » — ريف « منوفية ») .
٢ — الفروق الراجعة إلى نوع الإبن المتوفى (ذكر — أنثى) .
٣ — الفروق الراجعة إلى ظروف الوفاة (مفاجئة — متوقعة) .
٤ — الفروق الراجعة إلى تعدد الفقد .

أولاً : يكشف الجدول التالى الفروق بين المقيمات فى القاهرة والمقيمات فى المنوفية .

الجدول على الصفحة التالية

	القاهريات		المنوفية		ت	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع		
شدة الأسى :						
فى الشهر الأول للوفاة	٩٢,١	٣,٠٠	٩١,٨	٤,١	٠,٢٩٦	غير دال
فى وقت جمع البيانات	٥٤,٨	٩,٦	٥٣,٤	٧,١	٠,٥٨٧	غير دال
مدة الحداد	١٧,٥	٨,١	١٦,٢	١٠,٥	٠,٤٨٩	غير دال
الاتجاه نحو الموت	١٧,٣	٤,٥	١٨,١	٥,٣	٠,٥٧٣	غير دال
التغير السلوكى نتيجة الوفاة	٢٥,١	٦,١	٢٣,٩	٦,٥	٠,٦٦٧	غير دال

ومنه يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الحضريات والريفيات فى كل من : شدة الأسى سواء بعد الوفاة مباشرة أو حين جمع البيانات ، مدة الحداد ، الاتجاه نحو الموت ، ما أحدثته وفاة الإبن من تغير فى البرنامج اليومى المعتاد للأم ، أى تخلى الأم عن عادات كانت تعتادها أو اعتيادها إصدار أفعال معينة لم تكن تصدرها قبل وفاة ابنها . كما لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بينهما فيما يتعلق بمصادر تخفيف أحزانهن ، فسماع خبر سار كان وسيلة ٦٠ ٪ من الحضريات ، ٦٨ ٪ من الريفيات للتغلب على الأسى ، وحضور مناسبة سعيدة أدى إلى تخفيف حزن ٥٤ ٪ ، ٨٠ ٪ منهن على التوالى ، كما أن سماع القرآن الكريم سواء من مذياع أو من مقرىء خفف حزن ٧٢ ٪ ، ٧٧ ٪ منهن على التوالى .

كما أقرت ٨٩ ٪ ، ٩٢ ٪ أن ترديد آيات* معينة من القرآن الكريم كان أكثر الأساليب شيوعا لتقليل حزن يثيره تذكر الإبن المتوفى . وبحساب دلالة الفروق بين النسب السابقة تبين عدم دلالتها إحصائيا ، مما يعنى إمكانية التعامل مع المجموعتين بوصفهما فئة واحدة متجانسة عند التحقق من دور متغيرات أخرى فى إثارة الأسى أو تقليله .

* وكانت بالترتيب التالى وفقا للتكرار : فاتحة الكتاب ، ثم « كل نفس ذائقة الموت » ثم « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » ثم .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

الجدول على الصفحة التالية

	ذكور (٦٨)		اناث (٣٢)		ت	مستوى الدلالة
	س	ع	س	ع		
شدة الأسى :						
فى الشهر الأول للوفاة	٩٠,٦	٦,١٢	٩٠,٨	٨,٢	٠,٠٩١	غير دال
فى وقت جمع البيانات	٤٩,٢	٣,٦٧	٤٧,٨	٧,٠٨	٠,٨٢	غير دال
مدة الحداد	٢١,٦	١١,١٧	١٦,٢	١٢,٨	٢,١٤	٠,٠٥
الاتجاه نحو الموت	١٨,٦	٤,٧	١٤,٢	٣,٢	٧,٢٢	٠,٠٠١
التغير السلوكى نتيجة الوفاة	٢٦,٢	٢,٧١	٢٢,٨	٥,١	٢,٧٤	٠,٠١

ثانيا : يكشف الجدول السابق الفروق فى شدة أسى الأمهات والتى تعزى إلى نوع الابن المتوفى (ذكر أم أنثى) ، ومنه يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى شدة الأسى سواء بعد الوفاة مباشرة ، أو وقت جمع البيانات ، أى لا تختلف مظاهر الحزن وآثاره باختلاف نوع الابن المتوفى .

بينما توجد فروق دالة إحصائيا راجعة إلى نوع المتوفى ، فى مدة الحداد ، فوفاة ابن ذكر تطيل أمد الحزن ، وتحدث تغيبرا ملحوظا فى كل من :

اتجاه الأمهات نحو الموت ، وسلوكهن بعده ، وذلك بالمقارنة بوفاة ابنة أنثى ، مما يشير إلى أن وفاة ابن ذكر تحدث درجة أعلى من الحزن .

وباستبعاد الأمهات اللائى حصلن على مؤهل متوسط أو جامعى من المجموعتين ، ثم حساب دلالة الفروق بين متوسطيهما على المتغيرات السابقة ، تبين أن قيم « ت » قد أصبحت : ١,٠٩ ، ٢,٦٧ ، ٣,٠٥ ، ٨,٦٨ ، ٣,١١ على الترتيب الموجود بالجدول ، أى أن لمستوى التعليم دوره المعدل ، حيث تزيد الفروق فى شدة الأسى نتيجة نوع الإبن المتوفى لدى الأميات ، وتقل شدة هذه الفروق إذا نالت الأمهات قسطا من التعليم . بل ولوحظ أن شدة الأسى التى تعزى إلى نوع الابن المتوفى تتوقف على العلاقة بين الأم والأب ، فإذا كانت هذه العلاقة إيجابية زاد الحزن الناتج عن وفاة الابن بغض النظر عن نوعه ، أما إذا كانت هذه العلاقة سلبية ، لم تظهر الأم أية إشارة للأسى ، حتى إن إحدى المبحوثات لم تشر استجاباتها لأدنى درجة من الأسى على الرغم من أن الإبن المتوفى كان ذكرا جاء ترتيبه فى الولادة بعد بنتين ، ولم تلد بعد وفاته ، وكانت الأم أمية ، أى كان من المتوقع أن تظهر درجة ــ كبيرة من الأسى ، ومع ذلك جاءت استجاباتها غير ذلك ، وبإعادة استبارها مع التركيز على العلاقة بالزوج ، تبين أنها مطلقة وعلى خلاف شديد مع مطلقها .

الجدول على الصفحة التالية

ثالثا : يبين الجدول السابق الفروق فى شدة أسى الأمهات .

	مفاجئة (٨٤٠)		متوقعة (١٦)		ت	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع		
شدة الأسى :						
فى الشهر الأول للوفاة	٨٨,٤	٧,٥	٨٢,٨	١٣,٧٥	١,٢٨	غير دال
حين جمع البيانات	٤٧,٦	٨,٤	٤١,٦	٧,١٦	٢,١٧٤	٠,٠٥
مدة الحداد	١٦,٨	٨,٣	١٢,٣	٣,٢	٢,٦٣٧	٠,٠١
الاتجاه نحو الموت	١٧,٧	٤,٩	١٨,٨	٤,٨	٠,٦٢	غير دال
التغير فى السلوك نتيجة الوفاة	٢٤,٥	٦,٣	٢٥,٨	٥,٧	٠,٦	غير دال

والتى تعزى إلى كون الوفاة مفاجئة للأم (نتيجة تعرض الإبن لحادث أو لمرض مفاجىء)* أو كانت تتوقعها (لإصابة الإبن بمرض مزمن أو مستعصى) . ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائيا بين المجموعتين فى : شدة الأسى خلال الشهر الأول بعد الوفاة — الاتجاه نحو الموت — التغير السلوكى نتيجة الوفاة . بينما توجد فروق دالة إحصائياً بين المجموعتين ، تشير إلى أن الوفاة المفاجئة تؤدى إلى أسى أطول أمداً وأشد وطأةً ، فالأمهات اللائى فوجئن بالوفاة أكثر حزناً الآن وتطول مدة حدادهن ، بالمقارنة باللائى توقعن الوفاة .

وباستبعاد الحالات التى توفى لهن أبناء رضع من فئة اللائى فوجئن بالوفاة ، تبين أن قيم « ت » للفروق بينهن وبين اللائى توقعن الوفاة قد ارتفعت (وهى : ٢٠,٤ ، ٣,٢ ، ٣,٩١ ، ٢,١١ ، ٢,٥ على التوالى) مما يشير إلى أن وفاة ابن رضيع ، مع أنها تعد مفاجئة للأم ، إلا أنها لا تحدث نفس الدرجة من الأسى الذى تحدثه الوفاة المفاجئة .

ولم توجد فروق دالة إحصائيا بين المجموعتين فى الأحداث التى قللت الحزن ، فسماع خبر سار لدى ٨٥,٣ ٪ من اللاتى فوجئن بالوفاة ، ٨٢,٢٥ ٪ من اللاتى توقعنها ، وحضور مناسبة سعيدة لدى ٨٩,٣ ٪ ، ٨١,٣ ٪ على التوالى . بينما كان سماع القرآن الكريم مميزا بين الفئتين ، فاللائى فوجئن بوفاة ابنهن اعتمدن بدرجة أكبر — وبشكل دال إحصائيا — عليه لتخفيف أحزانهن بالمقارنة باللائى توقعن الوفاة ، حيث كانت نسبة من يقرأن القرآن عند تذكر الابن المتوفى هى : ٧٧,٤ ٪ ، ١٨,٧٥ ٪ على التوالى .

كما لم تختلف المجموعتان فى الاعتراف بدور فعال للزوج وللأهل وللجيران والأصدقاء فى مؤازرة الأم الثكلى ، سواء بذكر ما يخفف الأحزان ، ومقارنة مصابها بمصائب الآخرين ، ومساعدتها فى تحمل الأعباء الأسرية .

* ٢٩ ٪ من الوفيات المفاجئة نتيجة حادث سيارة ، ٣٠ ٪ لكون المتوفى رضيعا ، ٨ ٪ نتيجة الغرق ، ٤ ٪ لتسمم غذائى ، ٤ ٪ للانتحار ، ٣ ٪ لسقوط من السلم ٢٣ ٪ لمرض مفاجىء .

الجدول على الصفحة التالية

رابعا : ويكشف الجدول التالى أن تكرار معايشة الفجيعة يزيد من آثارها السلبية ،

	وفاة ابن فقط (٢٤)		تعدد الوفيات (٦٦)		ت	مستوى الدلالة
	سَ	عَ	سَ	عَ		
شدة الأسى :						
خلال الشهر الأول للوفاة	٨٦	٨,٤	٩٤	٢٥,٣	٢,٧٨	٠,٠١
أثناء جمع البيانات	٤٣,٢	٩,١	٥٣,٨	١١,٠٧	٢,٥٩	٠,٠١
مدة الحداد	١٠,٣	٤,١	٢٣,٧	٣,٢	١٢,١	٠,٠٠١
الاتجاه نحو الموت	١٥,٢	٥,٣	١٦,٦	٢,٨	١,١	غير دال
التغير فى السلوك نتيجة الوفاة	١٢,٢	٤,٢	٢٦,٨	٣,١	٤,١٣	٠,٠٠١

فالأمهات اللائى توفى لهن اكثر من فرد فى الأسرة (بالإضافة إلى الإبن المتوفى ، وتوفى لهن ابنٌ آخر أو زوج أو أحد والدى الأم أو اخواتها) تظهرن درجة أكبر من الأسى ، سواء بعد الوفاة مباشرة أو وقت جمع البيانات ، كما تطول مدة حدادهن ، وتحدث الوفاة تغييرا ملحوظا فى سلوكهن بالمقارنة باللائى توفى ابنهن فقط ، وإن كانت لا توجد فروق دالة بينهما فى الاتجاه نحو الموت.

وبالتمييز بين حالات تعدد الفقد العائلى ، والمقارنة بينها فى شدة الأسى ، تبين أن وفاة ابن بعد وفاة الزوج أكثر حالات تعدد الفجيعة إثارة للأسى فشدته — سواء بعد الوفاة مباشرة أو بعدها بفترة طويلة تصل إلى أربع سنوات — أكبر ، ومدته أطول بدرجة كبيرة ، حتى إن حالات التعدد التى توفى لديهن الإبن بعد وفاة أحد والدى الأم أو كليهما أو بعد وفاة ابن آخر ، لم تختلف شدة الأسى لديهن عن مثيلتها فى حالات وفاة الإبن فقط ، وقد يرجع ذلك إلى الدور الكبير الذى يلعبه الزوج لشد أزر زوجته ومحاولاته لتخفيف أحزانها .

ولم تختلف المجموعتان فى اعتبار ان سماع حبر سار (٧٥,٣ ٪ ، ٨٢,٩ ٪ على التوالى) وحضور مناسبة سعيدة (٦٧,٥ ٪ ، ٨٠,٧ ٪ على التوالى أيضا) وسيلة أساسية لتقليل الأحزان ، لكنهما اختلفتا — وبشكل دال إحصائيا — فى قراءة القرآن الكريم كوسيلة للتغلب على الأسى ، حيث استعان بها ٩٢,٨ ٪ من متعددات الفجيعة ، فى مقابل ٢٣,٧ ٪ فقط ممن توفى ابنهن فقط .

وتؤكد الأمهات الثكالى أن الزوج — إذا كان حيا — يمارس دورا أساسيا فى مساعدتهن على تخطى هذه المرحلة الصعبة ، يليه من حيث أهمية الدور أهل الزوجة — ثم جيرانها فأصدقائها ، حيث يواسون الأم ويجالسونها مقدمين كل صور المؤازرة من تذكير بالقَدَرِ وأهمية الصبر واحتسابه عند الله . ومساعدتها فى تحمل بعض الأعباء الأسرية ، ولا توجد اختلافات ذات دلالة إحصائية فى تقدير أهمية هذه المؤازرة فى التغلب على الأسى .

٥ — مناقشة النتائج : —

يمكن تناول نتائج استبار مائة من الأمهات الثكالى من خلال محورين يمثلان القيمة الحقيقية لهذا البحث ، وهما : —

(أ) ما أضافه إلى تراث معرفتنا بالأسى الناتج عن وفاة ابن .

(ب) ما يثيره من تساؤلات تعد فروضا لبحوث يتم إجراؤها مستقبلاً . وسوف نعرض نتائج البحث فى ضوء هذين المحورين ، بدءاً بما أضافه المحور الأول : —

(أ) تشير النتائج إلى أن أسى الأمهات المصريات الثكالى أقل شدة ، وأقصر أمدا بالمقارنة بما تظهره الدراسات التى أجريت فى المجتمعات الغربية (أنظر : ١٢ ، ١٦) ويرجع

ذلك إلى أن المكروبين فى مصر يتعاملون مع الفجيعة والأسى الناتج عنها فى ظل مؤازرة كاملة من الآخرين ، الذين يبادرون بالمشاركة فى الحزن على الفقيد ، ويقدمون كافة صور العون لاحبائه الأحياء ، مما يجعلهم يشعرون أنهم ليسوا وحدهم ، وهذا الإحساس بيسر عملية التغلب على الأسى (١٩) .

(ب) كشفت نتائج البحث الحالى أن وفاة ابن ذكر تحدث درجة أشد من الأسى بالمقارنة بوفاة ابنة انثى ، وأن لمستوى تعليم الأم دوره المعدل لعلاقة نوع الإبن المتوفى بشدة الأسى المترتب على الوفاة ، ومن المحتمل أن ما يحدثه التعليم فى تغيير صورة المرأة ومكانتها الاجتماعية ودورها فى تنمية المجتمع وامكاناتها للمشاركة ــ كالرجل تماماً ــ فى مجالات التنمية المختلفة وراء إنخفاض علاقة الأسى بنوع الابن المتوفى فى ظل ارتفاع مستوى تعليم الأم . أضف إلى ذلك ، إمكانية ان يزيد إرتفاع تعليم الأم من فرص التعرض لما يخفف الحزن كزملاء العمل ، وقراءة القرآن .

(جـ) كما تظهر النتائج أن الوفاة المفاجئة أكثر إثارة للأسى بالمقارنة بالوفاة المتوقعة ويتسق هذا مع ما تكشف عنه بحوث عدة (عرضت لها : ١٦) ، ويمكن أن يرجع ذلك إلى الإحساس بالذنب (للاعتقاد فى التقصير ، وعدم اتخاذ الاحتياطات لرعاية الإبن) ، حيث أن هذا الإحساس هو الذى يغلب على مشاعر اللائى يعتبرن وفاة ابنهن مفاجئة ، بينما اللائى توقعنها أقل حزناً لاحساسهم بأن موت الأبن راحة له من عذاب المرض ، وأنهن قد قمن بأقصى ما يمكن لرعايته ، وبالتالى حزنهن أقل بالمقارنة باللائى فوجئن بالوفاة .

(د) كما كشفت النتائج عن دور كبير لقراءة القرآن الكريم فى تقليل الحزن الناتج عن وفاة الابن ، ومرجع ذلك إلى ما يتضمنه القرآن من آيات تحث على الإيمان بالقدر والرضا بالقضاء والصبر عند المصاب والوعد بالإثابة (الجنة) لمن صبر والوعيد بالعقاب (النار) لمن لا يرضى بقضاء الله ، ولهذا الإيمان دوره الكبير فى التغلب على الأسى ، ليس فى هذه الحالة فقط ، وإنما تكشف بحوث عدة (عرضها ، ٧ : ٢٤٧ ــ ٢٤٨) عن دور الإيمان كوسيلة للاحتفاظ بالصحة النفسية وتحمل المشاق والتخلص من المرض النفسى .

وهكذا تقدم نتائج البحث الحالى الدعم الأمبريقى لدور الإيمان فى التغلب على المشقة وأشدها هو الأسى الناتج عن وفاة من تحب .

أما بالنسبة للمحور الثانى ، أى ما تثيره نتائج هذا البحث من تساؤلات :

(أ) طبقا لكون متعددات الفجيعة يعايشن أسى أشد وطأة وأطول امداً ، فإن أثر عمر الأم الثكلى على تحمل الفجيعة فى وفاة ابنها جدير باهتمام الباحثين ، نظراً لان الامهات الأكبر سنا عرضة لما يسمى بمشكلات المرحلة الوسطى من العمر (حيث تزيد احتمالات إصابتهن بعديد من الأمراض البدنية والنفسية) ،

كما يزيد احتمال معايشتهن لخبرات فقد أخرى ، بالتالى يصعب تغلبهن على الأسى ، ومن المحتمل أن تكشف المقارنة بينهن وبين امهات اصغر سناً عن فهم أفضل لكيفية التغلب على الأسى ، وأكثر وسائله فعالية .

(ب) لأن تعرض الفرد لخبرة ما يمهد لتعرضه لخبرة أخرى ، بأن تهىء الفرد للاستجابة للخبرة التالية بشكل أكبر كثيراً وبدرجة لا تتناسب وحجم المنبهات المثيرة لهذه الاستجابة ، ويتكرر الحال بتكرار التعرض لخبرات جديدة ، إذ أن الآثار الباقية من الخبرات السابقة تهىء الفرد للاستجابة بشكل مختلف مما لو كان يتعرض لنفس الخبرة ولكن بدون مقدمات ، حيث هناك آثار تراكمية يمتد أثرها لمرحلة طويلة لاحقة من العمر ، وفى هذه الحالة فإن إجراء بحوث تتبعية أمر ضرورى لاكتشاف ما يحدثه تعدد الفقد من آثار سلبية على التوافق النفسى الاجتماعى .

(جـ) ولأن العلاقة بالزوج محدد مهم لكل من شدة الأسى وكيفية التغلب عليه ، فإن عوامل التوافق الزواجى يمكن أن تلعب دوراً مُهمًا فى فهم المشقة الناتجة عن فجيعة ، ومن الضرورى إنتباه الباحثين إلى هذا الدور ، واتساقا مع هذه النقطة فإن المقارنة بين أسى أمهات ثكالى توفى أزواجهن وأسى أمهات ثكالى يغيب أزواجهن لعمل بالخارج ــ وهو أمر شائع فى الفترة الأخيرة ــ وأسى أمهات ثكالى يؤازرهن الزوج ، تعد هذه المقارنة أمر جديراً بالإجراء لفهم دور الزوج .

(د) ولأن القرآن الكريم وسيلة أغلب الأمهات الثكالى لتخفيف أحزانهن ، فإن لمستوى تدينهن (التزامهن) دوره

المحدد للتغلب على الأسى ، ومن الضرورى المقارنة بين أمهات ثكالى متفاوتات فى مستوى التدين .

(هـ) كما أنه من المهم الانتباه لمتغيرات شخصية الأمهات الثكالى ، فقد يتفاوت تمسكهن بمظاهر الحداد بمسايرتهن تلك المتغيرات ، ومن المعروف أن هناك علاقة بين مظاهر الحداد ومشاعر الحزن ، فإذا التزم الفرد بها اشتد حزنه ، وإذا ضعف إلتزامه قل الحزن (٤ : ١٤ ، ٣١) ، ومن المحتمل أن يتوقف التزام الفرد بمظاهر الحداد على اتسامه بخصال شخصية معينة ، ومن المهم إيجاد دليل امبريقى على ذلك .

المراجع العربية :

١ — ابو إسحاق الكندى .
١٩٨٣ « الحيلة لدفع الأحزان » . فى : « رسالة فلسفية » تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوى . بيروت : دار الأندلس .

٢ — ابو الفرج الجوزى .
١٩٨١ « روح الأرواح » . القاهرة : المطبعة العلمية .

٣ — ابو زيد البلخى .
١٩٨٤ « مصالح الأبدان والأنفس » . معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية .

٤ — ابن ناصر الدين الدمشقى .
ب.د « برد الأكباد عند فقد الأولاد » . القاهرة : مطبعة المدنى .

٥ — جاك شورون .
١٩٨٤ الموت فى الفكر الغربى . (ترجمة : كامل يوسف حسين ، مراجعة : إمام عبد الفتاح إمام) . الكويت : عالم المعرفة ، ٧٦ .

٦ — بارو سلاف تشرنى .
١٩٨٧ الديانة المصرية القديمة . (ترجمة : أحمد قدرى ، مراجعة : محمود ماهر طه) القاهرة : هيئة الآثار المصرية .

٧ — محمد عثمان نجاتى
١٩٨٧ القرآن وعلم النفس . القاهرة : دار الشروق (طبعة ثالثة) .

المراجع الاجنبية

8) J. Averill & E. Nunley
1988 : Greif as an emotion and as adisease: a social-constractionist perspective. **Jaurnal of Social Issues 44** (3): 79-95.

9) W. Fish
1986 : Differences of greif intensity in bereaved parents. (pp. 415-428) In: T. Rando (ed.) **parental loss of a child.** champaing II : Research press.

10) A. Freedman & M. Blumen field.
1986 : Recognizing the role of bereavement and reactive depression in modern psychiatry. **Psychopa-Thology,** 19 (2): 37-46.

11) D. Lehman; C, Wortman, & A. Williams.
1987 : Long-term effects of Losing aspouse or child in a-motor vehicle crash- **J. pers. Soc. Psychol.,** 52: 218-231

12) C. Littlefield & I. Silverman.
1991 : Marital dissatis faction following death of a child **Journal of Marriage and the Family,** 53: 799-804.

13) M. Moss & S.Moss.
1986 : Impact of The death of an adult child on eldery parents: Some observation. **Omega,** 17:209- 218.

14) H. Parkins & L. Harris.
1990 : Familial Penspective. **Journal of Marriage and The Family,** 52:233- 241.

15) B. Raphoel & K. Nunn.
1988 : counceling The beraved .
Journal of Social Issues, 44 (3) : 191 – 206.

16) C. Sanders.
1988 : Risk Jactors in bereavement outcome. **Journal of Social Issues,** 44 (3): 97-111.

17) C. Sanders.
1980 : Acomparison of adult berevement in the death of a spouse, child, and parent. **Omega,** 10: 303-322.

18) S. Theut; F. Pedersen; M. Zaslow; R. Cain; B. R. Rabinovich & Z. Morihisa.
1989 : Perinatal loss and parental bereavement. **Am. J. Psychiatry,** 146; 635-639.

19) U. Wikan.
1988 : Bereavement and Loss in Two muslim Comnuities: Egypt and Ball compared. **Soc. Sci. Med.,** 27 (5): 451-460.

20) M. Vachon & S. stylianos.
1988 : The role of social Support in bereavement. **Journal of Social Issues,** 44 (3): 175-190.

21) Q. Vernon.
1970 : **Sociology of death: an analysis of death- related** behavion. New York: The Ronald press

22) S. Zisook & S. Shucker.
1990 : Depression Through I 5t year afer a spouse's death **Am. J. Psychiatry,** 148; 1346-1352.

